

## الفصل الرابع عشر

كانت في هذه الفترة قد تفجرت الحرب الأهلية في لبنان وبدأ يشتد وزرها وأصبح الفلسطينيون في لبنان جزءاً مؤثراً ومتأثراً بها. أخبار الحرب من لبنان كانت تفعل فعلها في الأراضي المحتلة فما من بيت أو عائلة إلا ولها نصيب في تلك الحرب، فالشعب الفلسطيني قد تشنت مرتين الأولى نكبة عام ١٩٤٨، والثانية نكسة ١٩٦٧، الأمر الذي أدى إلى انقسام العديد من العائلات، يكون نصف العائلات في مخيمات الضفة ونصفها الآخر في لبنان، ويكون نصفها في مخيمات قطاع غزة والنصف الآخر في مخيمات الأردن ناهيك عن الذين رحلوا أو رُحّلوا خلال هذه السنوات أو الذين خرجوا لأسباب عدة كالعمل وغيره، وانقطعت بهم الأسباب ولم يعودوا قادرين على العودة.

نحن لم يكن لنا أقارب معروفون في لبنان آنذاك، ولكن العديد من جيراننا كان لهم أبناء أو إخوان أو أقارب من الدرجات الأولى هناك، هؤلاء الجيران كانوا يعيشون على أعصابهم وهم يتابعون الأخبار ويتناقلونها بين الحين والآخر، بعض النسوة كان لهن أبناء ممن التحقوا بالثورة وسافروا إلى لبنان ومكثوا فيها، هؤلاء النسوة كان القلق يقتلهن وهن يستمعن للأخبار، ويحاولن معرفة ولو أي شيء عن أولادهن. والمشكلة أنه لم يكن حينها مجال للاتصالات الهاتفية وكان السفر إلى لبنان مكلفاً ومعقداً حيث يضطر من يريد السفر إليها العبور من خلال الأردن حيث لا علاقات لإسرائيل مع لبنان ولا معايير بينها، وفوق كل ذلك ما قد يتعرض له من يريد السفر من مشاكل مع مخابرات الاحتلال.

إحدى جاراتنا كان لها ابنان مع الثورة في لبنان. هذه المرأة كادت أن تفقد عقلها أو حتى فقدته في تلك الفترة كانت تظل شاردة الذهن شاحبة الوجه بدأت تمتنع عن الطعام إلا نادراً فنحل جسمها وهزل وظلت كوابيس المنام واليقظة تلاحقها بمصير شوم لأبنائها، ونسوة الحارة يحاولن أن يخففن عنها بكل الصور الممكنة كي يبقى آخر ما تبقى لديها من قوة لتواصل الحياة وفيها عقل تدرك به ما يجري حولها، وكي يقنعا أن تتناول القليل القليل من الطعام.

ومع استمرار الحرب وطول أمدها ومع صباح أحد الأيام استيقظ المخيم على خبر وفاتها دون أن تعرف شيئاً عن مصير ولديها. مع تخرج ابن عمي إبراهيم من الثانوية العامة وجد نفسه أمام خيار أن يخرج للدراسة في إحدى الجامعات في الضفة (النجاح أو بيرزيت) تحديداً أو أن يدرس في الجامعة الإسلامية التي افتتحت عامها الأول بحوالي عشرين طالباً.